يقول د. عبد الله رحمه الله : « بدأت مسيرة (صدى) أواخر ٨٦ بأربعة : بي ، وبأبي برهان ، وأبي الحارث إبن أخي وحارسي وسائقي ، وكان يأتي معنا أحيانا عبد المجيد الجزائري الذي استلم اللاسلكي في (صدى) .. وصار الشباب يتجمعون حولي شيئاً فشيئاً في (صدى) في الوقت الذي كان تجمع الشباب حول أبي عبد الله في المأسدة قد بدأ .. » ويسجل أبو برهان السوري ذكريات تلك الأيام التي كانت فاتحة قدومه إلى الساحة فيقول [١] : « وصلتُ بشاور بعد عيد الفطر في شهر ٨٦/٦ والتقيت في بيت الخدمات بالدكتور عبد الله الذي عرّفني بالأخ نور الدين الأردني فاصطحبني إلى (صدى) وكان القائد العسكري هناك .. وكان المعسكر عبارة عن ٥ – ٦ خيام بالإضافة إلى خيمة المسجد وفيه من ١٥ إلى ٢٥ أخاً متدرباً .. ثم لقلة العدد ولحلول الشتاء أُغلق المعسكر نهائياً لمدة شهر ونصف تقريباً ، وبعد ذلك وفي شهر ٨٦/١٠ وبعد ملاحقة الشيخ عبد الله في بشاور عاد إلى هناك للإستقرار وكنت معه .. ولم يكن عبد المجيد وقتها في بالمعسكر تحديداً ، وإنما كان مسؤول المخابرة عند الشيخ سياف في (صدى) لكن أبا الحارث كان يرافق الشيخ بعض الأحيان ، وبقي نور الدين يدرب مجموعات منفصلة عن المعسكر العام تدريباً خاصاً » ويتابع أبو برهان : « خلال فترة الشتاء لم يكن لدينا أكثر من ٢٠ – ٢٥ شخصاً يأتون تباعاً .. بقينا ندربهم حتى نهاية الشتاء وكانت الدورة أحياناً لخمسة أو ستة أشخاص ، بعد ذلك بدأ العدد يتزايد ، وفي ذلك الوقت عرف أبو عبد الله مكان المأسدة فذهبنا إليه أنا والشيخ عبد الله .. » ويبادر أبو عبد الله فيسجل ذكريات تلك المرحلة الجديدة له .. وللعرب على ساحة أفغانستان ويقول : « بدأنا العمل في شق الطرق والأنفاق للمجاهدين في العرين ، وصار الإخوة يتابعون الأعمال في نفس المنطقة ، وكانت أعمار معظمهم لا تزيد على ١٨ سنة فكانوا متحمسين للقتال وغير مرتاحين للعمل الإعدادي هذا ، لكن بفضل الله وبحكم الصلات التي بيننا وبينهم طلبنا منهم المكوث على العمل ووعدناهم في نفس الوقت بالعمل العسكري ، ولذا فرّغنا أسامة وشفيق لمتابعة الأمور العسكرية عند المجاهدين في المنطقة وترقب أي الأيام وفي أي الأوقات يكون عند المجاهدين عملية حتى نسمح لإخواننا بالمشاركة معهم ، وليطوروا في نفس الوقت بعض الألغام بطرق خداعية مبتكرة غير الضغط ، وطلبت منهما أن يذهبا إلى أبعد مسافة يصلها المجاهدون قرب العدو للإطمئنان على المناطق التي لا ألغام فيها [٢] .. وفي إحدى المرات عادا ليخبراننا بأن هناك منطقة متقدمة مشرفة على العدو مباشرة من جبل ولا يوجد فيها أحد ، فاستغربت من كلامهم جداً ، كيف لا يوجد أحد على مثل هذا الموقع المهم ؟ وعندما رجعا أعطيناهما كاميرا فيدو لتصوير المنطقة ، وذهب معهما أخونا عبد الاول ، فكانت هذه بداية الذهاب إلى الموقع الذي سمي فيما بعد بالمأسدة ، وكان ذلك في شهر ٩ من عام ١٩٨٦ » .

ونعود إلى تفصيل أوفى لهذه المستجدات على لسان أسامة وشفيق رحمه الله .. يقول أسامة : « كنت في (قندهار) من شوال إلى ذي الحجة عندما أصبت بالملاريا فرجعت مع بعض الإخوة للعلاج ، وفي (كوتيا) قابلت أبا عبد الله الذي طلب مني أن أعمل في (بلوشستان) لكني اعتذرت وأكملت إلى بشاور ، وهناك إلتقيت به من جديد فأخبرني أن أذهب إلى (جاجي) ١٥ يوما أتعلم خلالها تشغيل المعدات وبعض طرق حفر الأنفاق والخنادق ، حتى أرجع إلى قندهار وأعمل للمجاهدين مثلها .. » ويكمل شفيق رحمه الله : « تقابلنا جميعاً في بشاور : أنا ، وأسامة ، وأمين ، واجتمعنا مع أبي عبد الله وكان معنا أبو أنيس ، وعلي السوداني ، وسالم ، فعرض علينا موضوع العرين .. » ويأخذ أسامة زمام الحديث ثانية ليقول : « كان العرين مؤسساً من قبل ، كان أبو معاذ موجوداً وكان عنده (كمبريسر) وأكثر من (دريل) وجرافة صغيرة من جرافات المزارع الترابية .. وعند وصولنا كان في بداية التهيئة للنفق الكبير، فبدأنا نشتغل معهم في قص الصخور لهذا النفق ، وفي التفجير عند نفق الشيخ سياف في الأعلى ، وكان أبو عبد الله قد قال لنا : إجلسوا ١٥ يوماً تعلموا وأنا الحق بكم ، لكننا بقينا ٢٠ يوما ولم يحدث شيء . أثناء ذلك قابلنا القائد الذي اشتركنا معه في عملية (ننجرهار) في (مارو) وكان في طريقه من (جاجي) عبر الجبل الأبيض باتجاه (جلال آباد) لضرب المطار .. فقال أبو أنيس : أنا أريد الذهاب معه ، ونحن أحببنا ذلك أيضا على أساس أن أبا عبد الله وعدنا ١٥ يوماً وتأخر عن ذلك ، لكننا ما عزمنا العزم الصحيح ، فتأخرنا وذهب هو ، وبدأ القصف فجأة على (جاجي) .. وكانت عندنا (دشكا) لكنها معطلة ، إذا أطلقت لا تقف ، وإذا وقفت لا تطلق ! فصرنا نضع كل ٥ - ٦ طلقات ونسحب واحدة ، بعد ذلك صارت لها مشكلة ثانية فتخربت نهائياً ، وجلسنا نراقب القصف فقط ونحاول الضرب عليهم بـ (الكلاشنات) وبـ (الآر . بي . جي) إلى أن عاد أبو عبد الله وعدنا نشتغل وكان بداية موسم الثلج ، وكنا قد ذهبنا بعملية مع المجاهدين للقصف على البوستات بـ (البي . إم . دوازدا) ووصلنا للترصد إلى موقع (بدر) الحالي . وكان الشيخ عبد الله عزام يزور العرين ، فلما عدنا وحدثناهم بما رأينا طلب أبو عبد الله منا أن نذهب إلى أقرب مكان للعدو ونصوره بالفيديو ونعود ، فذهبت أنا وشفيق وكان معنا عبد الأول مع مجموعة عبد السميع الشيعي (٢) الذين أوصلونا لنفس موقع المأسدة حالياً ، ولم يكن فيها أحد بالطبع .. فصورنا المنطقة بالفيديو ورجعنا .. » .

ويعود أبو عبد الله يكمل فيقول : « رجع الإخوة بالكاميرا وإذ بالأمر كما وصفوه : مواقع العدو ظاهرة بدباباته وخنادقه ، وحتى الأفراد يستطيع الذي يدقق النظر أن يلحظهم يذهبون ويعودون ، فعزمت بعدها أن أذهب وأرى الوقع بنفسي .. » يقول أسامة : « رجعنا فلقينا الشيخ عبد الله عزام وأبا عبد الله أمام النفق في العرين يتغدون ، أريناهم الصور وأخبرناهم بما شاهدنا ، فقرر أبو عبد الله أن يطلع معنا مرة ثانية

ليرى الموقع ، وكان الشيخ عبد الله عزام قد عاد .. » ويكمل أبو عبد الله : « ذهبنا .. وفوجئت بالموقع فعلاً : موقع متقدم يكشف ويرصد جميع تحركات العدو للأفراد أو الدبابات أو الإمداد ، وهو أقرب على العدو وخالي ، فسألت : لماذا لا يجلس المجاهدون في هذه المنطقة ؟ فقيل لي : لأنها منطقة بعيدة قُصفت كثيراً في العام الماضي وكانت بأيدي الروس قبل أن يجليهم الله سبحانه وتعالى بالريح العاتية الشديدة ، ثم إن الطرق إلى المنطقة تُقفل في الشتاء من شدة الثلج فيتعذر إمدادها .. ولأن عددنا لم يكن يسمح لنا أن نفكر بالتعسكر هناك ، إضافة إلى التزامنا بأعمال أخرى في (صدى) حيث كان أحد الإخوة يعمل على إنهاء ورشة إصلاح لمعدات الحفر وقطع الغيار ، وأخ آخر كلفناه بمهمة جهة (كويتا) وثالث مريض .. فبدا العدد أقل من أن يسمح بالتعسكر القتالي هناك .. عند ذلك ، ولأن المنطقة تابعة للشيخ سياف ، كتبت له رسالة وصفت له فيها المكان وعرّفته به ، وقلت له : هذا مهم جداً وحساس وخطير ، وإذا كان المجاهدون يشتكون من قصف الطائرات وانقطاع الطرق في الشتاء إليه ، فلو تأذنوا إن شاء الله خلال أشهر قليلة نكون قد عملنا طريقاً واسعاً لا ينقطع بإذن الله في الشتاء ، إضافة إلى خنادق للمجاهدين تقيهم الطائرات ، فكانت من أسعد الأيام عندي لحظة موافقة الشيخ أن ننتقل للعمل في ذلك المكان .. لأهميته العسكرية من وجهة نظري [٤] » .

* * *

هل كان إقتناع أبي عبد الله بأهمية المكان العسكرية هو السبب الحقيقي للإصرار على التواجد فيه ، أم ان الرغبة التي كانت لا تزال تتنامى لديه بالإستقلال في عمل جديد أكثر تنظيماً وضبطاً هي السبب ؟ وإذا كان أبو عبد الله قد أحاط بأهمية الموقع العسكرية .. فهل اتخذ قراره بالتحول للعسكرة فيه لبارقة حماس وإنفعال لحظي وحسب ، أم أنه الإحساس بتدني إنضباطية المجاهدين في المنطقة ، واستمرار إتخاذهم موقف المُدافع خلال الهجمات العديدة التي شهدتها من قبل .. في الوقت الذي تنشط قوات العدو في تقدمها وانتشارها على طول الوادي المتصل بين قلعة « تشاوني » ومركز « الإتحاد » و « الحزب » على محاذاة خط الحدود ؟ وبعبارة أوضح : هل كانت المأسدة – ساعة أن أراد أبو عبد الله التأسيس فيها – مأسدة للأفغان وموقعاً متقدماً يسوقهم إليه ، أم كانت معسكر العرب المأمول في المستقبل .. خاصة وقد أدرك أن مشكلة الموقع الأولى ستكون في عدم وجود المجاهدين ؟!

لم يكن من السهل الخلوص إلى إجابة شافية تحدد دوافع أبي عبد الله حينئذ وتفرزها بدقة .. لا من أبي عبد الله نفسه ، ولا من أقرب الذين كانوا حوله وقتذاك ، لكن مجموع الإجابات التي سمعتُها منه ..